بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

« لغة كل امةٍ مقياس رقيِّها » هذه قضيّة لا يمتري فيها عاقل ، وهي تصدق في مؤدّاها على لغات جميع الامم الحاضرة والغابرة . فاذا اردت ان تعرف مبلغ كلّ امّة من العلم ، والصناعة ، والتجارة ، والسياسة ، وغير ذلك من احوالها الاجتماعية فانظر في لغتها ، فانك تعرف بها مبلغها من ذلك كله .

وذلك لأن اللغة تابعة في اطوارها الى اطوار اهلها المتكلمين بها ، فاذا ارتقى اهلها في العلوم والفنون كانت لغتهم بالضرورة مشتملة على مصطلحات تلك العلوم واذا كان اهلها راقين في الصنائع كانت لغتهم مشتملة على كل ما يتعلق بتلك الصنائع من الكلمات . وبالجملة فهي تلو حالتهم الاجتماعية ، وتبيع ارتقائهم في مدارج المدنية ، فأينما تقدموا تقدمت معهم ، وحيثما تأخروا تأخرت معهم ، وقد مضى على اللغة العربية زمان كانت فيه سيدة اللغات ، اذ كان اهلها سادة الناس ، وقادتهم الى المعالي ، وكانت بيدهم ازمّة النهضة الاسلامية ، وكان الملك ملكهم ، والحكم حكمهم ، حيث قاموا باعباء تلك النهضة ، ففتحوا البلاد ، ووطدوا المهاد ، فاندمج فيهم خلق كثير من الامم الاخرى ، فانتحلوا نحلتهم ، او تكلموا بلغتهم وتقمصوا جنسيتهم ولم ينتحلوا نحلتهم ، فاتسع بذلك نطاق الافكار وراجت العلوم ، وكثرت الصنائع ، وتوفرت اسباب الحضارة والعمران . وكان ذلك كله من اسباب ارتقاء لغتهم ايضاً حتى اصبحت في ذلك العهد من اغنى لغات البشر واغزرها مادة ، فكان يلجأ

اليها في بيانه كل كاتب وشاعر ، ويعوّل عليها فيما يصنفه كل عالم متبحر ، ويفزع اليها فيما يدعيه كل فيلسوف متفكر .

ولما قلب الزمان للعرب ظهر المجنّ غلبوا على امرهم ، واديل منهم عدوهم ، فزال ملكهم ، وسكنت ريحهم ، فتوقفوا عن التقدم وما بعد التوقف الا الانحطاط . فتوقفت معهم لغتهم ايضاً . غير انها لم تكن تابعة لهم في انحطاطهم ، لانها مدوّنة في كتبهم ، ومحفوظة في آثارهم المخلدة ، فتفهقروا هم ولم تتفهقر هي معهم ، بل بقيت متوقفة لا تقدم رجلاً ولا تؤخر اخرى ، وهذا هو الجمود الذي نئنّ اليوم تحت اثقاله ، ونرزح من شدة وطأته وإعلاله .

ولما توقفت اللغة ولم تجرِ مع الزمان ، ولم تشاركه فيما احدثه وجدّده كل يوم انجرَّ بها توقفها الى التأخر عن غيرها من لغات الامم المستمرة على التقدم في طريق المدنيّة ، وذلك لانها قد مرّ عليها بضعة قرون وهي في جمود وركود ، لا تجاري غيرها من اللغات فيما تقدّم فيه اهلها من الصنائع والعلوم حتى اصبحت وهي اليوم لا تستطيع ان تجاري لغة من لغات الامم الراقية ، فلو اخذنا اليوم بيد اعلم رجل باللغة العربية ودخلنا به في سفينة حربية وقلنا له : سمِّ لنا كل ما دقّ وجلَّ مما اشتملت عليه هذه السفينة من الاشياء لوجدناه عاجزاً عن تسمية اكثر ما يراه في تلك السفينة ، وكذلك لو دخلنا به في معمل كبير من معامل الصنائع الحديثة في الغرب ، دع عنك مصطلحات العلوم والفنون الحديثة التي بلغت في هذا القرن مبلغاً لم يصل اليه الأولون ، وهو لعمري معذور في عجزه عن تسمية اكثر ما يراه لأن لغته وبالاحرى لأنّ اهل لغته لم يجاروا الزمان فيما أحدثه وجدّده ، بل وقفوا والناس مجدّون ، وناموا والناس مستيقظون ، وحدثت بين البشر خطوب وهم في غمرة ساهون ، فخلت لغتهم من كل ما حدث وتجدّد مما كانوا لا يعلمون .

اللغة العربية براء من هذا العجز ، أعني عجزنا عن تسمية اكثر ما نراه من مخترعات القرن الحاضر . كيف والعربية بقواعدها المحكمة ، وتصاريفها المتناسقة ، واقيستها المطّردة ، جديرة بأن تعدّ من اطول اللغات باعاً ، وابعدها للمعاني انتجاعا . واكثرها للألفاظ توليداً وانتزاعا وهي مع ذلك فيها من القابلية

للتجدد و لاتساع ما ليس في غيرها من لغات البشر ، وانما هو عجز اهلها ، وجمود الناطقين بها ، فهي واهلها اليوم كما قال الشاعر :

تقلّدتني الليالي وهي مدبرة كأنني صارم في كفّ منهزم[1]

الا ترى ان اللغة العربية لم تزل الى يومنا هذا محرزة قصب السبق ، فائقة على غيرها من اللغات في كل ما لم يحدث فيه تجدد او تبدل من الاشياء كخلق الانسان مثلاً فانك اذا تتبّعت في معاجم اللغة العربية ما يتعلق بخلق الانسان من الكلمات رأيت ثَمَّ عجيباً وقولاً رغيباً حيث تجد لكل عضو ظاهر او باطن في جسم الانسان ، ولكل جزء دقيق او جليل في تركيبه اسماً يعرب عنه او صفة تكشف لك القناع عن حكمته ، حتى لا تشك في أن العربية اليوم هي مجلّي حلبة اللغات في مثل خلق الانسان واضرابه وذلك لأن الانسان لم يتجدد فيه شيء ، ولم يتبدل منه خلق ، بل الانسان اليوم كما هو في عهد الأولين .

لقد تبين أن داء لغتنا اليوم هو توقفها عن النموّ لكونها لم تجر مع الزمان فيما احدث وجدّد منذ قرون فسبقتها اللغات التي جرت مع الزمان نامية . فان قلت : قد علمنا أنّ داء لغتنا هو ما ذكرت ولكن هل من طريق يوصلنا اليوم الى جعلها نامية متجددة ؟ قلت : اللهم نعم ! ان الأولين من اسلافنا كانوا يجرون لتنمية لغتهم وتجديدها في طريقين مهيعين : احدهما الاشتقاق والثاني التعريب غير اننا قطعنا على انفسنا هذين الطريقين وسددناهما ظلماً وعدواناً في وجه من اراد ان يسلكهما اليوم منا .

اما الكلام في الاشتقاق والتعريب فشيء مفروغ منه اذ قد تكلم فيهما الأولون والآخرون في كتبهم ، واحسن ما رأيت فيهما « كتاب الاشتقاق

---

(١) عزاه محمد كرد علي في رسائل البلغاء ص ٣٠٦ لابن شرف القيرواني وذكر قبله :

انـي وان عزنـي نيل المنـى لأرى حرص الفتـى خلـة زيدت علـى العدم

والتعريب[٢] » للعالم النحرير والكاتب الشهير السيد عبد القادر المغربيّ . وهو كتاب على صغر حجمه ، قد استوفى الكلام عليهما بما لا مزيد عليه وقد ذهب صاحبه مذهباً حسناً فيهما طالما حاك في صدري ، ودار في خلدي ، وحدّثت به نفسي ، وكنت اعتقد انه هو الصواب من قبل ان اقف على الكتاب . غير انّي لا اوافق مؤلفه الفاضل على ما وافق عليه من قول القائلين بأن الاشتقاق سماعي لا يجري فيه القياس كما سيجيء .

ولنذكر لك بعض ما قاله تمهيداً للمطلوب . قال في اول كتابه ما حاصله : « ان الامة تنمو وتتكاثر افرادها بطريقين : التوالد والتجانس اما الأول فظاهر في آن الامة ترجع بفروعها الى جد واحد كيعقوب جد الامة الاسرائيلية ، وقحطان جد عرب اليمن وعدنان جد عرب الحجاز اذ كل واحد من هؤلاء قد نسل اولاداً ونسل اولاده اولاداً ، وهكذا حتى تكونت الامة وكثر افرادها . واما الثاني فبأن ينضمّ الى الامة اناس من غيرها فيتقمصوا جنسيتها ، ويكونوا منها كالعرب المستعربة من سلالة اسماعيل عليه السلام . وكالذين تقمّصوا جنسية العرب من الفرس والروم والسريان والبربر وغيرهم فنمت بهم الامة العربية ، وتكاثر افرادها . قال : وهذان الطريقان منطبقان تمام الانطباق على نموّ لغة العرب ايضاً فانها نمت وتكاثرت بالتوالد والتجانس غير ان التوالد في اللغة يسمّى اشتقاقاً ، والتجانس يسمّى تعريبا . فالاشتقاق في اصول الكلمات العربية بمثابة النتاج والتوليد في الافراد المتكلمين بها ، والتعريب في الكلمات الدخيلة بمثابة تعرّب المنضمين اليها من الامم الأخرى » .[٣]

ثم اخذ المؤلف يذكر الاشتقاق وتعريفه وقال : « ان الاشتقاق سماعي بالجملة في كل من الجوامد والمصادر فاننا نقتصر في المشتقات منها على ما سمعناه من العرب »[٣]. ونقل في هذا الباب قول ابن فارس الذي قال في آخر

---

(٢) الطبعة الاولى ـ مطبعة الهلال/ ١٩٠٨ والطبعة الثانية ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة/ ١٩٤٧

(٣) المصدر السابق : ص ٨ ، ص ٩ على التوالي

كلامه : « وليس لنا اليوم ان نخترع ولا ان نقول غير ما قالوه ولا ان نقيس قياساً لم يقيسوه لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها » .

هذه زبدة ما قاله الفاضل المغربي وانا لا اوافقه في ان الاشتقاق سماعي في كلا القسمين من الجوامد والمصادر بل ارى انه سماعي في الجوامد فقط . وذلك لان الداعي الى الاشتقاق انما هو التغيّر والتبدّل الطارىء في معنى الكلمة ، فبسبب ذلك التبدّل والتغيّر يتولد منها لفظ آخر يتضمن معناها الاصلي مع زيادة طارئة فيه . ولما كانت الجوامد ذات معان ثابتة غير متبدلة ولا متغيرة لم يكن فيها سبب داع الى الاشتقاق والتوليد لما فيها من العقم المحض بخلاف المصادر واسماء الاحداث فان معانيها متغيرة لا تستقر على حالة واحدة كالضرب مثلاً فانه حدث لا يقوم بذاته بل يقوم بشخص فتكون في معناه زيادة فنحوله الى ضارب ويقع على شخص فنحوله الى مضروب ، وقد تكون فيه كثرة فنحوله الى تضريب ونقول منه ضرّب ومضرّب ، وقد يقع بين اثنين او اكثر فنحوله الى مضاربة او تضارب ونقول منهما ضارَبَ ومضارِب ، وتَضارَبَ ومتضارب وقد يقترن بحركة وارتعاج فنحوله الى اضطراب ونقول منه اضطرب فهو مضطرب، وهو يحتاج الى محل فيتولد منه مَضرب والى آلة فيتولد منه مِضرب او مضراب وهكذا يتبدل ويتغير بحسب احواله الى اشكال متعددة وصيغ مختلفة .

فالاشتقاق في اسماء الاحداث ضروريّ لا بد منه ، ولا يجوز ان يكون عدم السماع حجة في منع قياسه واطراده من وجوه :

احدها ان عدم السماع لا يستلزم عدم الوقوع اذ يجوز أن يكون قد وقع ، وان العرب قد نطقت به ولكنه فات الرواة فلم تروه ولم تنقله لان نَقَلة اللغة اكثر ما يعتمدون في نقلها على الشعر ومن الجائز في الكلمة المحكوم فيها بعدم السماع انّها لم تقع في الشعر بل وقعت في النثر الذي لم تضبطه الرواة ولم تنقل منه ولا عشر معشار فعلى القائل بالمنع ان يثبت لنا عدم الوقوع والا فدليله مدفوع وكلامه غير مسموع .

ثانيها أننا إنْ سلمنا في كلمة من المشتقات أنها غير مسموعة وغير واقعة ايضاً اكتفينا في جواز استعمالها بسماع نظائرها المطردة المقيسة فان العرب ان لم تقل « حابّ » من حبّ فقد قالت : سابّ من سبّ وعادّ من عدّ ، ورادّ من ردّ الى غير ذلك من الكلمات التي جرت في كلامهم على وجه الاطراد فمنعُنا استعمال « حابّ » بحجة عدم السماع تحكّم في اللسان وتهكّم بسماع نظائرها المطردة ورمي للغة بالجمود .

ثالثها : ان الاشتقاق اصل في اسماء الاحداث لكونه امراً ضرورياً بسبب ما يقع في معانيها من التبدل والتغير كما ذكرنا آنفاً ، واذا كان الاشتقاق هو الاصل وقد تعارض عندنا في بعض المشتقات دليلان احدهما يقتضي المنع وهو عدم السماع والآخر يقتضي الجواز وهو القياس المطرد في نظائره وجب ان نرجع به الى الاصل وان نرجح دليل الجواز على دليل المنع لان الأول مثبت للاصل والثاني ناف له .

وأما ما قاله ابن فارس من أنه « ليس لنا اليوم ان نخترع ولا ان نقول غير ما قالوه ولا ان نقيس قياساً لم يقيسوه لان في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها » فليس بشيء . ويا ليت شعري ايّ فساد يحصل في اللغة اذا قلنا « منفوع » من نفع وقد صرّح ابو حيان انه لا يقال منفوع من نفع لانه غير مسموع ؟ وايّ فساد يحصل في اللغة اذا قلنا من الفهم « انفهم » او قلنا من السخط « سَخْطَ » بتشديد الخاء وقد ذكروا في كتب اللغة أن ذلك لا يقال لانه غير مسموع ؟ وايّ فساد يحصل في اللغة اذا قلنا من الحصول « استحصل » ومن الحصانة او الحصن « استحصن » ولم ارَ في كتب اللغة من ذكرهما لانهما غير مسموعين ؟ بل انما الفساد كل الفساد في منع ذلك كله لانه بمنعه يختل القياس واختلال قياس اللغة في توليد كلماتها اجدر ان يعدّ من الفساد فيها . وهل في اللغة العربية من حقيقة اكبر من اطراد القياس في مشتقاتها ؟ فاذا نحن ابطلنا هذا القياس وقيّدنا السنتنا في كل كلمة من كلماتها بالسماع فقد ابطلنا اكبر حقيقة من حقائقها . ففساد اللغة وبطلان حقائقها إنما يكون بتقييد انفسنا بالسماع لا بجرينا مع القياس كما زعم

ابن فارس . وبهذا يعلم ان ابن فارس ومن ذهب مذهبه قد وقعوا فيما فرّوا منه .

واذا كان قول ابن فارس « ليس لنا اليوم ان نخترع ولا ان نقول غير ما قالوه » حقاً فكيف جاز للمولدين ان يقولوا « تبغدد » اي انتسب الى بغداد او تشبّه باهلها قياساً على قول العرب تمعدد وتمصّر وتسرّر مع ان كلمة بغداد ليست من المصادر بل من الجوامد التي يتوقف فيها الاشتقاق على السماع ؟ وقد اثبت علماء اللغة « تبغدد » في معاجمهم ولم ينكروها على المولدين . وكيف جاز للمولدين ايضاً ان يقولوا « فذلك الحسابَ فذلكة » نحتاً من قولهم فذلك العدد كذا وكذا ؟ والنحت ضرب من الاشتقاق وقد اثبت علماء اللغة « فذلك » ولم ينكروها .

وقصارى القول ان كون الاشتقاق قياسياً في المصادر واسماء الاحداث امر ضروري لا بدّ منه وهو من اكبر مزايا اللغة العربية ومن اجلى حقائقها الثابتة ، حتى اننا لو جرينا في مسألة الاشتقاق مع السليقة العربية المحصة ونفضنا عن افكارنا غبار الجمود لقلنا : إنه جار في الجوامد ايضاً فان العرب قد اشتقت منها عند عروض الحاجة الى الاشتقاق . فقد اشتقت العرب من الحجر فقال : استحجر الطين فلو قلنا نحن من الطين : استطان الماء كان ماذا ؟!

وقد قالت العرب استنوق الجمل ، فلو قلنا استجملت الناقة كان ماذا ؟! .

فان قال قائل : اذا جاز لنا بالقياس ان نقول « حابَ » من حبّ كما ذكرت لزم جواز ان نقول كارم من كرم ولاءم من لؤم وظارف من ظرف مع ان العرب لم تقل ذلك ولم تعرفه فاذا قلناه نحن قياساً نكون قد افسدنا عليهم لغتهم وتكلمنا بما لم يكونوا يعرفون .

قلت : ان هذا القول ان لم يكن من قبيل المغالطة كان من الجهل بمعنى القياس وذلك لان القياس الذي جرت عليه العرب في افعال السجايا وما دل على الالوان والعيوب هو ان لا تكون الصفة المشتقة منها على فاعل بل على فعيل او فعل او فعال الى غير ذلك مما ذكره اهل الصرف فالقياس هنا هو ان نقول : كريم ولئيم وظريف ومتى اردنا ان نقول كارم او لائم احتجنا فيه الى السماع فلا نقوله الا اذا

سمعناه من العرب لان السماع انما يحتاج اليه ويحتجّ به فيما خالف القياس الذي جرت عليه العرب في كلامها . وكذلك القول في الافعال الدالة على العيوب والألوان فان القياس فيها عند العرب هو أن لا تجيء الصفة منها على فاعل بل على افعل كعور فهو اعور وسود فهو اسود فاذا اردنا ان نقول غير ذلك احتجنا فيه الى السماع وأما « حبَّ » فليست كذلك بل القياس فيها وفي نظائرها ان تجيء الصفة منها على فاعل فلسنا اذا قلنا « حابّ » بمحتاجين الى السماع لانه انما يحتاج اليه فيما خالف القياس .

فقد ظهر لك من هذا ان معنى القياس هو الاعم الاغلب . وشرح ذلك ان علماء العربية نظروا في كلام العرب فرأوهم يأتون بصفة الفاعل مثلاً على صيغة فاعل في الاعم الاغلب من كلامهم فحكموا بأن القياس هو ان يقال من ضرب ضارب ومن كتب كاتب وهلم جرّا وقالوا : كل ما خالف ذلك من نظائره فهو نادر موقوف على السماع . ثم نظروا في افعال السجايا الدالة على الثبوت فرأوهم ـ اعني العرب ـ يأتون بالصفة منها على فعيل في الاعم الاغلب فحكموا بان القياس في مثل هذه الافعال ان يقال من كرم كريم ، ومن لؤم لئيم وهلم جراً .

ونظروا في الافعال الدالة على العيوب والألوان فرأوهم يأتون بالصفة منها على افعل في الاعم الاغلب فحكموا بأن القياس في مثل هذه الافعال ان يقال من عور اعور ، ومن سود اسود وهلم جرا وما خالف ذلك نادر موقوف على السماع . فالقياس إذَنْ في حبّ ونظائرها غير القياس في كرم ونظائرها فلا يلزم من قولنا « حاب » من حبّ جواز ان يقال كارم من كرم .

اما مسألة المعرّب والتعريب فاترك فيها القول لما قاله الفاضل المغربيّ في كتابه الذي ذكرناه آنفاً فانه قد استوفى الكلام فيه بما لا مزيد عليه ، واثبت ان التعريب قياسيّ وانا اوافقه على ذلك تمام الموافقة والكتاب المذكور مطبوع متداول فليرجع اليه من شاء .

قلت فيما تقدم : إنّ اللغة العربية قد توقفت عن التقدم ولم تجرِ مع

الزمان ، وان توقفها قد انجرّ بها الى تأخرها اليوم عن لغات الامم الراقية فاصبح المتكلم بها عاجزاً عن التعبير عن كل ما يراه من آثار المدنيّة الحاضرة . واكثر ما يظهر هذا العجز في اسماء الآلة والاداة لاننا محظور علينا ان نشتق من كل مصدر اسم آلة ينطبق معناه على ما نراه من الالات كما اننا محظور علينا ان نعبّر عما نراه باسمه الاعجمي على طريقة التعريب .

وهذا هو الذي دعاني ان اجمع في هذا الكتاب ما استطعت ان اجمعه من اسماء الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق لشدة الحاجة اليوم الى مثل هذه الاسماء بكثرة المسميات التي حدثت في العصر الحاضر ولئن كان هذا الكتاب غير واف بالمراد فليس الغرض من وضعه سد ما ذكرت من الخلل فان ذلك مما لا استطيعه انا وحدي ، وانما الغرض منه تنبيه الافكار الى ردم الثلمة وانهاض الهمم الى كشف هذه الغمّة . فيجب علينا ان ننظر في هذه المسميات المستحدثة ، ولا بد ان يكون لكل واحدة منها فعل تفعله لانها لم تحدث عبثاً فان استطعنا ان نشتق لها من فعلها اسماً فذاك والا نظرنا فيها فان كانت مما شاع على السن العامة استعملناها كما استعملتها العامة واجرينا فيها بعض التغيير ان رأينا فيها بعض النفور والحيود عن اللهجة العربية كما فعلت ذلك في كلمة « اوتوموبيل » فاني غيرتها الى « تومبيل » كزنجبيل لاسباب ذكرتها في ترجمتها فانظرها في محلها من هذا الكتاب وقد استعملتها في قصيدة قلتها في وصف التومبيل قلت في اولها :

وفدفدٍ قاتم الاعماق متسعٍ طويت اجوازه طي المكاتيب
بتومبيل جرى في الارض منسرحاً كما جرى الماء من سفح الاهاضيب

والقصيدة طويلة تتضمن وصف التومبيل وان لم تكن مما شاع على السُن العامة عرّبناها واستعملناها . وينبغي ان لا نتحاشى عن استعمال ما تداولته الينة العوام من هذه الكلمات الحديثة فان اللغة انما تتقرر بشيوعها واستعمالها في الينة

العامة اللهم الا في مصطلحات العلوم والفنون فان اللغة تتقرر فيها بالسنة الخواص واستعمالهم اياها .

وقد رتبت ما جمعته في هذا الكتاب من الكلمات على حروف المعجم باعتبار الحرف الأول من الكلمة سواء اكان اصلياً أو مزيداً وربما ترى بعض الكلمات قد ذكرت مكررة في موضعين وذلك لاني بعدما ذكرتها وقفت منها على معنى آخر فذكرتها ثانياً في محل آخر وذلك مما لابأس به إذ ليس هذا الكتاب معجماً من معاجم اللغة حتى يجب أن يكون محكم الترتيب وانما هو مجموع كلمات .

هذا ونسأله تعالى ان ينفع به الطالبين وان يجعلنا[٤] على شكر نعمه من الدائبين وهو ارحم الراحمين .

قسطنطينية . في ٩ ربيع الاخر ١٣٣٧ .

معروف الرصافي

---

(٤) وردت في الاصل (يجعلها) ولا ريب انها مما طغى به القلم والصواب ما اثبتناه وهو ما يقتضيه السياق ويستتبع به المعنى .

كلمة الاستاذ مصطفى علي
في هذا الكتاب

في الجزء الاول من كتابي (الرصافي) *كتبت فصلاً عن هذا الكتاب : (كتاب الآلة والاداة) ونقلت مقدمته اللغوية الثمينة التي كتبها المؤلف واوضح فيها الدواعي التي دعته الى تأليف هذا الكتاب .

***

ذهبت ذات يوم لزيارة الرصافي فرأيت الصديق الشاعر علي الخطيب قد سبقني الى زيارته وحين هممت بالنهوض اعطاني الرصافي بصعة دفاتر وقال : خذ هذا واصنع به ما تشاء فأخذته شاكراً . كانت تلك الدفاتر تتضمن كتاب الآلة والأداة فاحتفظت به .

لقد عزمت اخيراً على ان اعده للطبع ، بعد فراغي من شرح الديوان ، الا ان اصابتي بضعف البصر اقعدتني عن ان اتولى هذا الاعداد ، فعهدت به الى الصديق الحميم الاستاذ عبد الحميد الرشودي الذي كان لي نعم العون في انجاز طبع شرح الديوان ، وكلي ثقة انه سيقوم باعداده خير قيام

الحارثية ١/ ٧/ ١٩٧٩ مصطفى علي **

---

* الرصافي ـ الجزء الاول ـ صلتي به ، وحبسه ، مؤلفاته مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٩٤٨ .

** توفي الى رحمة الله في مستشفى الكرامة مساء الثلاثاء الموافق ٤/ آذار ١٩٨٠ . وشيع صباح يوم الاربعاء ٥/ ٣/ ١٩٨٠ الى مثواه الاخير في مقبرة الغزالي برصافة بغداد . تغمده الله برحمته الواسعة .

obeikandl.com

رأي الدكتور ابراهيم السامرائي
في كتاب « الآلة والأداة »

هذا معجم في الآلة والاداة ، وهو جهد كبير قام بتصنيفه الاستاذ معروف الرصافي . ومن غير شك ان هذا العمل يكشف صفحات من تاريخ العربية وكيف تحوّلت في مسيرتها الحضارية من الاصول البدوية الى نمط الاستقرار في البيئة الزراعية والعيش في الحواضر . ومن هنا يلمح المؤرخ نشوء ما يسمى بـ « المصطلح الفني » وكيف توفر ذلك في العربية منذ اقدم عصورها .

إنّ هذا المعجم صفحة مشرقة من صفحات حضارة هذه الأمة التي ادركت من اسباب التقدم القدر الكبير منذ عصور عدة بله العصور الذهبية والازدهار المعروفة لدى الباحثين .

وقد وجدت ان من المفيد ان اضيف ما تهيّأ لي * على عجل من المواد التي لم اجدها في هذا السفر النفيس

آمل ان يتهيأ فيه فائدة للدارسين والباحثين في تاريخ اللغة

بغداد ـ كلية الآداب

ابراهيم السامرائي

---

* راجع المستدرك في اخر هذا الكتاب .

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

اكتسبت اللغة العربية منذ قدر لها ان تكون لغة التنزيل الحكيم والسنة النبوية المطهرة ، شرفاً وقدسية لم تنلهما اية لغة من شقيقاتها الساميات حتى ان فقهاء المسلمين اعتبروا علم اللغة من الدِّين ، لانه من فروض الكفايات . وقد أثر عن ابن عباس قوله : « اذا سألتم عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب » .

كما ذهب الفارابي هذا المذهب في مقدمة كتابه(ديوان الادب): « القرآن كلام الله وتنزيله فصّل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم مما يأتون ويذرون ولا سبيل الى علمه وادراك معانيه الا بالتبحر في علم هذه اللغة » *

وبدافع من هذا الشعور ندب العرب الأولون انفسهم لجمع متون اللغة ، فضربوا في البوادي والقفار يشافهون العرب البادية فدونوا الغرائب وقيّدوا الشوارد والاوابد .

لا جرم انهم عرفوا التأليف المعجمي المتخصص منذ عهد مبكر فظهرت جمهرة من الكتب والرسائل ذوات الموضوع الواحد حتى شملت : النبات والكرم والنخل والانواء والامطار والرياح والازمنة والامكنة والحشرات والوحش والطير والابل والشاء والخيل الى غير ذلك من الموضوعات التي وصل إلينا منها القليل وضاع منها الكثير .

وقد تلا هذا النمط من التأليف المعجمي نمط ثان هو معجمات المعاني مثل

---

* المزهر للسيوطي : ١٠٩٣/٢ (مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥ هـ و ٣٠٢/٢ الطبعة الرابعة) ١٩٥٨ .

كتاب الالفاظ لابن السكّيت (١٨٦ ـ ٢٤٤) والالفاظ الكتابية للهمذاني (ت ٣٢٧ هـ) ومبادىء اللغة للاسكافي (ت ٤٢١) وفقه اللغة ، وسحر البلاغة وسر البراعة للثعالبي (٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ) والمخصص لابن سيده (٤٥٨ هـ)

والى جانب هذين الضربين من التأليف المعجمي ، ظهر ضرب ثالث من المعجمات العامة الشاملة الرامية الى شرح معاني الالفاظ معززة بالشواهد ، ويُعد معجم العين للخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ ـ ١٧٥ هـ) اول معجم يمثل هذا النهج من التأليف المعجمي ، وقد اتبع في ترتيبه الابجدية الصوتية وذلك بايراد كلماته على حسب مخارج اول حروفها مبتدئاً بالاحرف التي تخرج من اقصى الحلق ثم الاحرف اللسانية ثم الاحرف الشفوية ، وقد عدّ حرف العين اول احرف الحلق لذا اطلق على معجمه اسم (العين) .

وقد توالت ، بعد معجم الخليل ، المعجمات العامة فألف ابن دريد (٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ) الجمهرة ، والازهري (٢٨٢ ـ ٣٧٠ هـ) تهذيب اللغة ، والصاحب بن عبّاد (٣٢٦ـ ٣٨٥ هـ) المحيط ، والجوهري (٣٢٣ ـ ٣٩٣ هـ) تاج اللغة وصحاح العربية ، واحمد بن فارس (٣٢٩ ـ ٣٩٥ هـ) مقاييس اللغة والمجمل ، وابن سيده المحكم والمحيط الاعظم ، والزمخشري (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ) اساس البلاغة ، والصغاني (٥٧٧ ـ ٦٥٠ هـ) العُباب ، ثم جاء ابن منظور (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ) فوضع اكبر معجم عرفته العربية الا وهو لسان العرب ، وقد افاد ابن منظور كثيراً من المعجمات التي ظهرت قبل معجمه فضم معظمها اليه فجاء معجمات في معجم ، ثم تلاه الفيروز ابادي (٧٢٦ ـ ٨١٧ هـ) فوضع القاموس المحيط الذي يعد من امهات المعجمات وقد نال حظاً موفوراً من الشيوع حتى اصبحت كلمة (القاموس) اسم جنس يطلق على كل معجم .

وقد كان علماء اللغة الاولون حراصاً على سلامة لغة التنزيل فنبهوا على « لحن العامة » بل تجاوزوا ذلك فنبهوا على اوهام الخواص ، وقد عقد ابن جني

في كتابه الخصائص بابا لاغلاط الاعراب حلص فيه الى ان الاعراب قد يقعون في اللحن لانهم ليست لهم اصول يراجعونها ولا قوانين يستعصمون بها وانما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به ، فربما استهواهم الشيء فزاغوا عن القصد .وقد دأب العرب على التأليف المعجمي ولم يفتر نشاطهم حتى في عصور الانحسار والانحدار ، ومن عجب ان يظهر اعظم واوسع معجم عربي ، اعني تاج العروس في شرح جواهر القاموس ، للسيد مرتضى الزَّبيدي (ت ١٢٠٦ هـ) في احلك حقبة من حقب التاريخ العربي الا وهي حقبة الحكم العثماني في مصر تلك الحقبة التي سلب العرب فيها سلطانهم السياسي والفكري وسادت فيها العجمة والرطانة الاقليمية .

وقد شهد عصر النهضة الحديثة طائفة من المعجمات كمعجم محيط المحيط ، ومختصره قطر المحيط لبطرس البستاني (١٨١٩ ـ ١٨٨٣ م) ومعجم اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني (١٨٤٩ـ ١٩١٢ م) والمنجد للويس معلوف (١٨٦٧ ـ ١٩٤٦ م) والبستان لعبد الله البستاني (١٨٥٦ ـ ١٩٣٠ م) ومعجم الطالب في المأنوس من متن العربية والاصطلاحات العلمية والعصرية للمعلم جرجس همام الشويري اللبناني (١٨٥٦ ـ ١٩٢١ م) والمعتمد لجرجي شاهين عطية (ت سنة ١٩٤٦) ومتن اللغة لاحمد رضا (١٨٧٢ ـ ١٩٥٣ م) والمرجع لعبد الله العلايلي والمساعد للاب انستاس ماري الكرملي (١٨٦٦ ـ ١٩٤٧ م) ومعجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ الكبير والوسيط ـ ومن الانصاف ان نذكر جهود المستشرقين ، لين ، ودوزي وفيشر وان كتبوا معجماتهم بغير العربية .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه أن للأستاذ المحقق الحجة محمد بهجة الأثري كتاباً في الآلة والاداة لا يزال شتيتاً في اوراق ينتظر التبويب والتنسيق ، وقد جرّد منه بحثاً بعنوان ـ الآلة والاداة في اللغة العربية ـ في ضوء عبقرية اللغة ومطالب التمدن الحديث ـ القاه في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في الدورة الثامنة

والعشرين (٢٧ مارت ١٩٦٢) ، وقد دعا فيه إلى إضافة أوزان قياسية جديدة الى الأوزان الثلاثة المعروفة في كتب الحر ، فأخذ المجمع بما دعا اليه ، وأوصل أوزان الآلة الى سبعة . * ولنا وطيد الأمل أن ينبري الأستاذ الأثري في وقت قريب لاكمال كتابه هذا الذي طال تشوق عشاق اللغة وتطلعهم اليه .

الرصافي وجهوده اللغوية

لقد كان الرصافي ـ رحمه الله ـ ذا مواهب متعددة ، الا ان موهبته الشعرية قد تحيّفت سائر مواهبه الاخر فلم يكن الشعر ، وان جاء منه بالمعجب المطرب ، الا اداة من ادواته المتعددة فقد خاض غمار البحث اللغوي في وقت مبكر ، فألف كتاب (دفع الهجنة في ارتضاخ اللكنة) ضمنه ما في اللسان العثماني من الفاظ عربية كما وضع كتاب (دفع المراق في كلام اهل العراق) وكذلك الف كتاب (الادب العربي ومميزات اللغة العربية في ادوارها المختلفة الادبية) وقد القى محاضرات عديدة منها : (جمودنا في اللغة) * ومحاضرته حول التدريسات العربية التي حاضر بها معلمي البصرة سنة ١٩٢٦ والتي اكد في مستهلها صلاحية اللغة العربية لان تكون لغة للتدريس . واعترافاً لفضله وجهوده في خدمة اللغة العربية الشريفة فقد قرر المجمع العلمي العربي بدمشق في ٤/حزيران سنة ١٩٢٣ انتخابه عضواً مراسلا له .

ولعل كتاب (الآلة والاداة) الذي نتوفر اليوم على تحقيقه ونشره يعد اهم ما كتب الرصافي في حقل اللغة فقد عمد فيه الى جمع جمهرة كبيرة من اسماء الآلة

---

* نشر في المجلد العاشر من مجلة المجمع العلمي العراقي ١٩٦٢ كما نشر فصلة مستقلة من المجلة المذكورة .

* ان محاضرة (جمودنا في اللغة) هي عبارة عن مقدمة كتاب الآلة والاداة معززة ببعض الشواهد وقد القاها الرصافي في الموصل في تشرين الاول ١٩٢١ ثم القاها ثانية على طلاب دار المعلمين في بغداد سنة ١٩٢٢ ونشرها في جريدته الامل واعاد نشرها روفائيل بطي في مجلة الحرية في الجزء الثاني من السنة الثانية (آذار ١٩٢٦) كما نشرها بعد ذلك الاستاذ مصطفى علي في الجزء الاول من كتابه الرصافي (القاهرة ١٩٤٨) ثم نشرها الدكتور احمد مطلوب في كتابه الرصافي ـ آراؤه اللغوية والنقدية ـ (القاهرة ١٩٧٠)

والاداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والاشياء التي يحتاجها المجتمع المتحضر وتفرضها المدنية الحديثة وكان سبيله في ذلك استقراء المعجمات الامهات ، القديمة منها والمحدثة ، وان كنت وجدته كثير الاستقاء من اقرب الموارد لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني . وقد رتب ما اتفق له من الكلمات على حروف المعجم باعتبار الحرف الاول من الكلمة سواء اكان اصلياً ام مزيداً ، واعتذر عن بعض الكلمات التي وردت مكررة في موضعين بقوله : « وذلك لاني بعدما ذكرتها وقفت منها على معنى آخر فذكرتها ثانيا في محل آخر ، وذلك مما لا بأس به اذ ليس هذا الكتاب معجماً من معاجم اللغة حتى يجب إن يكون محكم الترتيب وانما هو مجموع كلمات » .

لم يقف الرصافي في كتابه هذا موقف الناقل الجامد وانما بث في ثناياه آراءه ومذهبه اللغوي الذي يدعو الى الترخص في وضع الاسماء لاسباب الحضارة الحديثة لذا عارض مذهب ابن فارس الذي تعصب وتغالى في قوله : « ليس لنا اليوم ان نخترع ولا ان نقول غير ما قالوه ولا ان نقيس قياساً لم يقيسوه » . فمذهب الرصافي في القياس ادنى واقرب الى مذهب ابن جنى : القائل : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » .

ولم ير الرصافي بأساً في ذكر بعض الالفاظ العامية في كتابه هذا ، فمعالجة الالفاظ العامية الى جنب الالفاظ الفصاح ليس بدعاً في التأليف المعجمي فقد نحا هذا النحو السيد مرتضى الزبيدي في تاج العروس فأضاف طائفة من الفاظ العامية المصرية الى معجمه المذكور . وان كان ثمة ما يؤاخذ عليه المؤلف في هذه السبيل فهو انه جنح بالفاظ العامة الى الفصحى ولم يحكها عنها مما قد يبعدها عن المعاني التي وضعت لها في الاساس فكلام العامة يجب ان يورد كما تنطقه السنتهم وان كان ملحوناً او معدولاً عن جهته ، او مصروفاً عن حقه وان اعراب كلامهم معيب كما يعيب اللحن كلام البلغاء والأبيناء على السواء . وهو ما ذهب اليه الجاحظ وقرره في كتابه : البيان والتبيين .

وثمة ملاحظة اخرى على رسم خط المؤلف هي انه لا يحقق الهمزة الوسطى

مخطوطة الكتاب :

ان النسخة التي اعتمدناها هي نسخة المؤلف الوحيدة وقد فرغ من تبييضها في ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٨ م) بالقسطنطينية وقد تكرم عليّ بها الصديق الكريم الاستاذ الفاضل مصطفى علي الذي له على حفظ ونشر آثار الرصافي فضل لا ينكر ويد لا تجحد .

تتكون النسخة من ٥٦٩ صفحة ومقاسها ٢٠ سم × ١٦,٥ سم وعدة سطور

الدفتر	عدة صفحاته	من ـ الى	الصفحات المفقودة	من ـ الى
الاول	٧٩	١ ـ ٧٩	-	-
الثاني	٥٥	١٠٠ ـ ١٥٨	٢٠	٨٠ ـ ٩٩
			١	١٠١
			٣	١١٦-١١٨
الثالث	٧٩	١٥٩ ـ ٢٣٧	-	-
الرابع	٧٨	٢٣٨ ـ ٣١٥	-	-
الخامس	٧٨	٣١٦ ـ ٣٩٣		
السادس	١٢٠	٣٩٤ ـ ٥٢٩	٣	٤٥٠ ـ ٤٥٢
			١١	٤٦٩ ـ ٤٧٩
			٢	٤٨٨ ـ ٤٨٩
السابع	١٤	٥٥٣ ـ ٥٦٩	٢٣	٥٣٠ ـ ٥٥٢
			٠٣	٥٦٧ ـ ٥٦٩
	٥٠٣		٦٦	

obeikandl.com

كل صفحة منها ١٦ سطراً وهي مكتوبة بالقلم (الكوبيا) بخط المؤلف النسخي الجميل وقد وردت فيها صفحات غفل من الكتابة كما سقطت منها صفحات اشرنا اليها في مظانها من الكتاب . وقد وضعت ما تهديت اليه من الالفاظ الساقطة بين معكوفتين [ ].وقد كتبها المؤلف ـ كجاري عادته ـ في دفاتر مدرسية استنفدت سبعة دفاتر واليك جدولاً يوضح محتويات كل دفتر والصفحات الساقطة منه ومواضعها من الكتاب حسب التسلسل العام الذي وضعه المؤلف .

لقد قمت غبّ تسلمي هذه المخطوطة بنسخها في دفترين كبيرين ثم عارضتها مع الاصل وبعد ذلك شرعت بتعليق بعض الهوامش التي لم اجد عن ذكرها ندحة ثم بدا لي ان اخرّج بعض الشواهد الشعرية الا انني لم اثقل في الاولى ولم استقصِ في الثانية .وقد وجدت المؤلف كثير الاستشهاد بشعره الا انه يرسله ـ في الغالب ـ ارسالاً من غير عزو وفي القليل النادر يصرح بقوله : « كما قلت » . فأشرت الى مواطنه من الديوان وذكرت القصائد التي تضمنته .

وبعد فحسب الرصافي فضلاً وفخراً انه تنبه الى حاجة الامة الى وضع مثل هذا الكتاب في وقت مبكر فندب نفسه لسد هذه الثغرة بروح اللغوي المترخص المتفهم لحاجات العصر ومطالب المدنية والعمران فهو يرى ان نماء اللغة لا يتم الا بفتح باب الاجتهاد اللغوي الذي اوصده الجمود والتخلف دون مجاراة اللغة للتيارات الحضارية المستجدة مع تجدد وتعدد حاجات الانسان واستبحار العمران .

obeikandl.com

موجز حياة الرصافي

ولد الرصافي في بيت جده لامه في محلة القراغول بالجانب الشرقي من بغداد سنة ١٢٩١ رومية (١٨٧٥ م) كما تشير الى ذلك وثيقة النفوس (العثمانية) الا انه ذكر في حديث له انه سمع من والدته ان عمره كان سبعة اشهر غداة اعلن الجهاد وهي تقصد بالجهاد حرب الدولة العثمانية مع روسيا القيصرية وبما ان هذه الحرب وقعت سنة ١٢٩٣ فتكون ولادته اما في هذه السنة وإمّا في سنة ١٢٩٢ وقد رجح التاريخ الاخير .

ينتسب الرصافي من جهة ابيه (عبد الغني محمود) * الى قبيلة الجبارة القاطنة في ضواحي مدينة كركوك والمعروف عن هذه القبيلة انها من السادة الحسنية ، اما من جهة امه : (فاطمة بنت جاسم وامها نجود الشراد) فينتسب الى عشيرة القرغول وهي بطن من بطون شمر. كان ابوه عريفا في الجيش العثماني وقد شارك في حرب الدولة العثمانية ضد روسيا القيصرية فلما آب من تلك الحرب عين في سلك الدرك (الجندرمة) ، (gendarme) وكان بطبيعة وظيفته كثير الاسفار لذا كانت علاقته بابنه ضعيفة فهو لا يذكر منه الا انه كان متديناً كثير الصلاة ملازماً لتلاوة القرآن الكريم « وكان حديد المزاج اذا غضب اخاف واذا ضرب اوجع »

والرصافي ثاني اخوين ولدتهما امه وقد تخرّم الموت اخاه البكر وهو في

---

*ذكر الاب الكرملي في صفحة ١٠٠ من نسخته المخطوطة من كتاب تراجم العلماء لمحمود شكري الالوسي : ان وفاة والد الشاعر معروف الرصافي كانت في اواخر اذار ١٩١١ وانه سمع الخبر من جميل صدقي الزهاوي عند زيارته له في اوائل نيسان ١٩١١ .

مهده لذا انصب حب امه وحنانها فيه واستأثر بعطفها ، كما انه لم يجد من يشاطره حبها فأقبل عليها وتعلق بها وجزاها حناناً بحنان : « كانت مرجعي في كل شيء حتى بعد مجاوزتي العقد الاول من حياتي لاني كنت لا ارى ابي الا قليلاً ، فهي التي كانت ترسلني الى الكتّاب وانا صغير وهي التي كانت تجهز لي كل ما يلزم لذلك » .

كانت امنية ام معروف ان ترى وحيدها متعلماً ليأخذ طريقه الى وظيفة حكومية تضمن له مورداً ثابتاً وتكسبه هيبة ووقاراً لانها كانت ترى ابناء خاله الذين يساكنونهم في الدار وما هم عليه من البؤس والشقاء بسبب عدم تعلمهم وكيف انهم احترفوا الحرف المتعبة الشاقة ذات الموارد القليلة المحدودة لذا ضنت بوحيدها ان يؤول مستقبله الى ما آل اليه مستقبل اولئك التعساء ، فما ان بلغ الثالثة من عمره حتى ارسلته الى اقرب كتّاب لدارهم كانت تديره امرأة قرب جامع الكهيا وهو ، لصغر سنه ، لا يكاد يذكر اسمها بل ولا حتى صورتها . وبعد ذلك انتقل الى مكتب الملا بايز في محلة الحيدر خانه قرب بيت الجادرجي (لقد تحول هذا المكتب الى دكاكين اليوم وهو يقع قبالة مديرية انحصار التبغ سابقاً) . وقد تعلم الرصافي في هذا المكتب الحروف الهجائية ثم انتقل الى مكتب منيف افندي في محلة الميدان قرب سوق الهرج وقد تعلم في هذا المكتب طرفا من كتابة المشق وختم القرآن الكريم وكان عمره حوالي التسع او العشر سنوات .

وبعد تخرجه في هذا المكتب انتمى الى مكتب الحاج حسن الافغاني في مدرسة نجيب الدين السهروردي (مقابل دار الضباط اليوم) وكان هذا المكتب كما حدثنا الرصافي ، يتبع اسلوبا شبيها بالمدارس الحكومية فكان لا يقبل من التلاميذ الا من ختم القرآن الكريم لان خريجيه مؤهلون للقبول في المدارس الرشدية العسكرية .

وبعد تخرجه في هذا المكتب قبل في المدرسة الرشدية العسكرية (وكانت في بناية المحاكم المدنية اليوم) وذلك بعد اجتيازه امتحانا بالقراءة والكتابة وكان عمره احد عشر عاما الا انه اخفق في امتحان الصف الثالث وكان رسوبه في مادة

الحساب فغادر المدرسة مغاضبا وهو لا يلوي على شيء فقد كرهها وكره نظامها الصارم الذي كان يلزم الطلاب بالمبيت فيها ولا يأذن لهم بمغادرتها الا يومي الخميس والجمعة . فأخذ سمته صوب المدارس الدينية وتزيا بزي طلبة العلم فلبس العباءة واعتمر العمة وكان من سوالف الاقضية ان يتصل ، اول ما يتصل ، بمدرسة جامع الحيدرخانة (الداودية) التي كان يتولى التدريس فيها العلامة السيد محمود شكري الالوسي الذي لمس في الفتى نبوغا مبكرا وحافظة واعية فآثره بعناية خاصة مما جعل الفتى ينقطع الى استاذه الشيخ ويلازمه مدة تقرب من عشر سنوات.وقد حدثنا الرصافي عن هذه العلاقة فقال : « وقد كان العلامة المشار اليه يعتني بالمترجم اعتناء خاصا ويقدمه على سائر الطلاب عنده لما يرى فيه من الذكاء والاستعداد لتلقي الدروس حتى انه بذل له جميع كتبه وقد لازمه وواظب على الدروس عنده زهاء عشر سنوات لم ينقطع عن الدروس فيها يوما واحدا » .*

الرصافي والتعليم

عندما اسس الشيخ عبد الوهاب النائب مدرسة في الراشدية اختار معروف الرصافي ليقوم بالتدريس فيها فاقام الرصافي هناك سنة واحدة ثم عاد الى بغداد فعين معلما في المدرسة البارودية (جامع علي افندي) وفي هذه الاثناء شغرت وظيفة معلم في قضاء مندلي فتقدم اليها (١٦) طالبا كان الرصافي احدهم وبعد اجراء الاختبار اللازم حاز الرصافي قصب السبق على اقرانه واصبح تعيينه قاب قوسين الا ان مفتي مندلي سعى لمرشح آخر غير الرصافي فعينوه فيها فاستشاط الرصافي غضباً وعزم على الاستقالة احتجاجا على هذا الاجحاف الذي لحقه فأراد مدير معارف بغداد آنذاك (رفيق قيريش) وبايعاز من والي بغداد نامق باشا ترضيته فعرض عليه التدريس في المدرسة الاعدادية (المكتب السلطاني) على ان يتناول الراتب المخصص للتدريس في مندلي فرفض بادي الرأي ، ثم اذعن ونزل عند رغبة الشيخ عبد الوهاب النائب الذي توسط في هذا الامر وكان لذلك اثره في بروز

---

* ترجمة الرصافي بقلمه وقد بعث بها الى خير الدين الزركلي سنة ١٩١٢ بناء على طلبه .

شخصية الرصافي الادبية فعرفه المجتمع البغدادي واخذ يراسل مجلة المقتبس لصاحبها محمد كرد علي فنشرت له روائع شعره فتخطت شهرته العراق وطبقت بلاد العرب وقد استمر الرصافي على التدريس في المدرسة الاعدادية مدة تقرب من الثلاث سنوات (١٩٠٦ ـ ١٩٠٩) .

وبعد الانقلاب العثماني واعلان الدستور استدعي من قبل احمد جودة صاحب جريدة اقدام التركية الذي عزم على اصدار جريدة عربية باسم (الاقدام) ورشح الرصافي محررا لها فلبى الرصافي الطلب وبارح بغداد متوجها الى استنبول فلما وصلها وجد احمد جودة قد عدل عن رغبته فعاد الى بيروت في ٧ شعبان ١٣٢٧ (٢٥ آب ١٩٠٩)

ولما نفد ما معه من الدراهم ابتاع محمد جمال صاحب المكتبة الاهلية مجموعة من شعره ونشرها سنة ١٩١٠ بعنوان ديوان الرصافي ثم واصل الرصافي سفره الى بغداد فوصلها في ١٨ من شهر رمضان ١٣٢٧/ ٤ تشرين الاول ١٩٠٩

وما كاد ينفض وعثاء السفر حتى وردته برقية * من اصدقائه في استنبول تستحثه على السفر ليتولى تدريس اللغة العربية وآدابها في مدرسة ملكية شاهانية والتحرير في جريدة سبيل الرشاد لمديرها المسؤول عبيد الله مبعوث آيدين فلبّى طلبهم وسافر . وهناك انفتحت له آفاق جديدة فقد كان يساكن صديقه عبيد الله دارا واحدة . وكان الى جوارهم دار طلعة باشا وزير الداخلية وقد رغب طلعة بتعلم اللغة العربية فاختير الرصافي لهذه المهمة ولما شرعوا بانتخاب اعضاء الدورة الثانية لمجلس المبعوثان رشح طلعة الرصافي فانتخب مبعوثا عن المنتفك سنة ١٩١٢ ومددت عضويته دورة ثانية بسبب قيام الحرب العالمية الاولى وقد رغب اليه صديقه عبيد الله الزواج فاختارت شقيقة عبيد الله للرصافي الآنسة بلقيس

---

* نشرت جريدة (روضة) لصاحبها عبد الحسين الازري في عددها ١٨ الصادر يوم الاربعاء ١٢/ شوال ١٣٢٧ الخبر التالي :

ورد تلغراف من الاستانة بطلب الشاعر الاديب معروف افندي الرصافي محررا اولا لجريدة سبيل الرشاد العربية التي تقرر اصدارها في الاستانة وقد جعلت له راتبا ٢٠٠٠ غرش صاغ نسأل الله ان يرقي هذه اللغة الشريفة ويرجعها كما كانت عليه قبل هذا اليوم .

فتزوجها الا انها لم تنجب وقد لبث الرصافي في الآستانة الى ما بعد اعلان الهدنة ثم بارحها الى دمشق في اواخر سنة ١٩١٩ فلقي من حكومة الشام العربية الألاقي ولما استيأس منها اراد العودة الى العراق وفي هذه الاثناء ورد اليه كتاب من صديقه عادل جبر مدير معارف فلسطين يستحثه فيه بالتوجه الى القدس لتدريس اللغة العربية وآدابها خلفاً لخليل السكاكيني ، فغادر الشام صباح الثلاثاء ٢ مارس ١٩٢٠) ووجهته القدس الشريف فوصل مساء الاربعاء ٣ مارس ١٩٢٠) وهناك تنفس الصعداء وقد جرت قريحته ببيت يتيم وهو يغادر الشام يدل على ما اصابه هناك من حيف وتجاهل :

لما خرجت من الشآ م خرجت من جب الشآمه

وعند قيام الحكم الاهلي في العراق استدعي الى العودة فغادر القدس ووصل بغداد في ٩ نيسان ١٩٢١ ونزل في ضيافة صديقه وتلميذه حكمة سليمان . وقد عرض عليه ناظر المعارف وظيفة نائب رئيس لجنة التعريب بكتاب تحريري على ان يباشر الوظيفة اعتبارا من ٢٥/ حزيران ١٩٢١ فوافق الرصافي على ذلك بكتاب تحريري ايضا وبعد فترة طلب اجازة امدها ثلاثة اشهر وبسلفة رواتبه وذلك لغرض السفر الى الآستانة لجلب زوجته فلم يجب الى طلبه فسافر ثم عاد ثانية فعين بوظيفة مفتش للدروس العربية في ١١ آب ١٩٢٤ وفي ١ ايلول ١٩٢٧ نقل للتدريس في دار المعلمين العالية وظل فيها الى ان قدم طلبا باقالته في ١ تشرين الاول ١٩٢٨ فقبلت استقالته في ١ تشرين الثاني ١٩٢٨ وبذلك انتهى آخر عهد له بالوظيفة فتوجه نحو الميدان السياسي فانتخب عضوا في مجلس النواب لخمس دورات كان فيها مثال الوطني الغيور الحريص على المصلحة العامة كما كان نموذجا عاليا للنائب المرشد المسدد . وحين عرضت معاهدة ١٩٣٠ عارضها بشدة وشجبها .

وفي سنة ١٩٣٣ آثر العزلة والابتعاد عن العاصمة بغداد وضوضائها فألقى عصا ترحاله في الفلوجة واتخذ منها معتكفا وقد اعاد استنساخ كثير من مؤلفاته ورسائله وأنجز كتابه « الشخصية المحمدية» او (حل اللغز المقدس) .

وعند قيام ثورة مايس ١٩٤١ ومداهمة المرتزقة الذين جلبهم الانكليز لمدينة الفلوجة واستباحتها غادر الرصافي معتزله واضطر للعودة الى بغداد فاتخذ من الاعظمية مستقراً ومقاماً

عاش الرصافي ايامه الاخيرة في عوز شديد وكان مرتبه التقاعدي لا يفي بحاجته وقد ارتفعت الاسعار بسبب الحرب ارتفاعا هائلا فكان يسد بقسط منه اجرة الدار ويتبلغ بالباقي وكانت تمر به الايام والاسابيع وقوته الخبز القفار وشرابه الماء القراح فلا عجب اذا ما كتب الى اصدقائه وخلصائه عبارات تنضح بالتشاؤم وتطفح باليأس والقنوط : « انا من آلامي في عذاب مستمر وهي في ازدياد غير منقطع لقد ضاقت بي الحياة حتى اصبحت انادي : ألا موت يباع فأشتريه ! » .

وفي شتاء ١٩٤٥ اصيب الرصافي بنزلة صدرية ثم استحالت الى ذات الرئة فلم تقو شيخوخته الواهية على تحمل هذه العلة فادركته المنية في فجر السادس عشر من آذار ١٩٤٥ وهو يردد : انا ـ ولله الحمد ـ مسلم مؤمن بالله وبرسوله محمد بن عبد الله ايمانا صادقاً لا ارائي فيه ولا اداجي ، الا أني خالفت المسلمين فيمااراهم عليه من امور يرونها من الدين ، وهي ليست منه الا بمنزلة القشور من اللباب ولا يهمني من الدين إلا جوهره الخالص وغايته المطلوبة التي هي الوصول الى شيء من السعادة في الحياة الدنيوية الاجتماعية والحياة الاخروية ما امكن الوصول اليه من ذلك بترك الشرور وبعمل الصالحات »

فرحم الله الرصافي كفاء ما اسدى الى هذه اللغة الكريمة من اياد وافضال .

بغداد في ٢٠/ ٧/ ١٩٧٩ عبد الحميد الرشودي

المستدرك

مما فات الرصافي

لقد كان من محاسن الصدف ان يقف الاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي على هذا الكتاب ويدون عليه مستدركاً وجدنا من تمام الفائدة نشره في هذا الملحق ، والمستدرك وان كان صغيراً املته العجالة ، الا انه كبير الفائدة عظيم العائدة .

obeikandl.com

obeikandl.com

حرف الهمزة

الانجر ـ وهو أنحر السفينة فارسي مُعرَّب . ذكره الجواليقي في « المعرب » وذكره ادي شير في « الالفاظ الفارسية المعربة »

الآري ـ وآريّ الدابة فاعول من التأري . ابن قتيبة ، ادب الكاتب (السلفية) ص ٥٨

حرف الباء

البرّاد ـ اناء يبرد الماء .

البِرزين ـ وهو اناء قشر الطلع يشرب فيه . وقد تكلمت به العرب وهو الذي يسميه العرب التلتلة . هكذا فسّره عبد الرّحمن عن عمه . وانشد الاصمعي لرجل من اهل البحرين :

ولنا خابية موضونة جَونةٌ يتبعها برزينها

ذكره الجواليقي في « المعرّب. »

البصيرة ـ الترس ، وقيل : هو ما استطال منه . (اللسان) .

حرف الجيم

الجارفة ـ الدرع اللينة

الجامعة ـ الغل لجمع اليدين الى العنق

الجبيرة ـ الجبائر عيدان تشد على العظم لتجبره بها على استواء والجبائر : الاسورة من الذهب والفضة ، واحدتها جِبارة وجبيرة . قال الأعشى :

فارتسك كما في الحفر ـ بمعنى مثل الحبارة

الحتبر ـ وكذلك الحشير اى الكنانة .

حرف الحاء

الحاجور ـ ما يمسك الماء من شفة الوادي .

الحامة ـ كالمحمل وهي الرحيل يحمل فيه العنب الى الجرين .

الحمارة ـ خشبة تكون في البيدر . والحمار : خشبة في مقدم الرحل تمسك بها السراة وهي في مقدم الاكاف . قال الاعشى :

وقيدني الشعر في بيته كما قيد الآسراتُ الحمارا

الحميت ـ الرق الصغير . وقال ثعلب وحمر الصيقل خشبته التي يصقل عليها الحديد

الحنيرة ـ مندفة القطن .

حرف الخاء

الخابور ـ مسمار من الخشب .

الخاطوف ـ شبيه بالمنجل يشد في حبالة الصائد يختطف الظبي .

الخشيب ـ السيف الصقيل ، وهو الذي ندي ضبعه ولم يحكم عمله .

الخدار ـ عود يجمع الدّجرين الى اللزمة .

الخوان ـ اعجمي معرب ، تكلمت به العرب . ذكره الجواليقي .

الخيزران ـ السكّان للسفينة . ذكره ابو عبيد .

حرف الدال

الدالية ـ شيء يتخذ من خوص وخشب ، يستقى به بحبال تشدّ في راس جذع طويل . والدالية المنجنون ، وقيل المنجنون تديرها البقرة .

الدامغة ـ حديدة فوق مؤخرة الرحل ، وخشبة معروضة بين عمودين يعلّق عليها السقاء .

الدرفس ـ الراية ، معرّب فارسي . ذكره الجواليقي في « المعرّب » قال البحتري :

والمنايا مواثل وانوشروا ن يرجي الصفوف تحت الدرفس

الدُوّارة ـ من ادوات النقاش والنجار لها شعبتان تنصمان وتنفرجان لتقدير الدارات .

حرف الراء

الرهيش النصل الرقيق ، والسهم ، والقوس الدقيقة يصيب وترها طائفها .

حرف السين

الاسطام ـ هو السطام ايضاً ـ وهو المسعار ، حديدة متطوعة الطرف تحرك بها النار وتُسعَّر .

السعيط ـ هو المُسعُط اي الاناء الذي يجعل فيه السَعوط ويصب في الأنف .

حرف الشين

الشَبوب ـ ما يوقد به النار

حرف الصاد

الصاري ـ دقل السفينة .

obeikandl.com

حرف الطاء

الطابون والطابونة ـ مدفن النار يختبز فيه في بلادالشمالي الافريقي

الطُنبور ـ الذي يلعب به ، معرّب ذكره الجواليقي .

حرف العين

العلاة ـ سندان الحدّاد .

حرف القاف

القاقزّة ـ لغة في القازوزة ، ذكرها الليث .

القابوعة ـ المِحرَضة ، وهي وعاء الحرص ، وهو الاشنان .

القبّان ـ الذي يوزن به

القرّقر ـ من لباس النساء

القُرقور ـ السفينة العظيمة .

القَرقارة ـ اناء سمّي بذلك للصوت الذي يحدثه .

حرف الكاف

الكابول ـ حبالة الصائد

الكفر ـ العصا

حرف الميم

المائلة ـ منارة المسرجة

المئجار ـ المخراق

المجار ـ العقال .

المُجنأ ـ الترس المحدودب .

obeikandl.com

المَدَرية ـ رماح تركب فيها القرون المحدَّدة مكان الاسنة . قال لبيد يصف البقرة والكلاب :

فلحقن واعتكرت لها مَدريةٌ كالسمهرية حدّها وتمامُها

المَدْميّ ـ من السهام الذي ترمي به عدوك ثم يرميك به .

المِسجَرة ـ الخشبة التي تسوط بها السَجور

المُسَيَّر ـ ثوب فيه خطوط .

المِقصَرة ـ خشبة القصّار .

المِضوار ـ المسواك .

المفدّم ـ الابريق والدن .

المُلَكَّمة ـ القرصة المضروبة باليد .

المِيجر والمِيجرة ـ شبه المُسعُط يوجر به الدواء .

حرف النون

النامرة ـ مصيدة تربط بها شاة للذئب .

الناموس ـ فترة الصائد .

النَورَج والنيرج لغتان ـ وهو الذي يداس به الطعام من حديد كان او خشب . قال الشاعر :

عيرانة حرف تصرّ نيوبها في الناجيات كما يصرّ النَوْرَجُ

وقالوا : النورج سكة الحرّاث . ذكره الجواليقي في « المعرّب »

النيرة ـ من ادوات النساج ينسج بها ، وهي الخشبة المعترضة

حرف الهاء

هُـرْهور ـ ضرب من السفن .

الـهِـميان ـ فارسي معـرّب . وقـد سـمّـت به العـرب وهـو هميان ابـن قحافـة السعديّ احد الرجاز . ذكره الجواليقي .

حرف الياء

اليارَق ـ فارسيّ معـرّب وهو السِـوار . ذكره الجواليقي .

obeikandl.com